شبهة الاستدلال بدلالة موسى عن الله في حواره لفرعون بصفات ربوبيته

يستدل المبتدعة في تعريفهم العبادة بالاستدلالِ بقوله تعالى . في محاورة فرعون وموسى عليه السلام: { قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ}[الشعراء: ٢٣-٢٤]، قالوا: فذَكَرَ في الجواب عن السؤال الطالبِ لماهيةِ الإله: القدرة على الاختراع، ولولا أن حقيقةَ الإلهية هي القدرةُ على الاختراعِ لم يكن هذا الجواب مطابقًا للسؤال(١).

الرد:

أولًا: أن السؤال لم يكن عن الماهيةِ، وإنما هو سؤالُ من أظهَرَ الجحودَ والنكران أن يكون ربٌّ غيره وادَّعى أنه هو الربُّ الأعلى، فسؤاله سؤالُ إنكار للربِّ الذي يدعو موسى عليه السلام إلى عبادته وتوحيده.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: «وقد ظن بعضُ الناس أن سؤالَ فرعون (وما رب العالمين؟)، هو سؤالٌ عن ماهيةِ الربِّ، كالذي يسألُ عن حدودِ الأشياء فيقول: ما الإنسان؟ ما المَلَك؟ ما الجِنِّي؟ ونحو ذلك، قالوا: ولما لم يكن للمسئولِ عنه ماهية عَدَلَ موسى عن الجوابِ إلى بيانِ ما يُعرف به وهو قول (رب السماوات والأرض)، وهذا قولٌ قاله بعضُ المتأخرين وهو باطل، فإن فرعون إنما استفهم استفهامَ إنكارٍ وجحدٍ، لم يسألْ عن ماهيةِ ربٍّ أقرَّ بوجوده، بل كان مُنْكِرًا له جاحدًا»(٢).

ثانيًا: لا تلازم بين مقدمتِهم ونتيجتِها، فجوابُ موسى عليه السلام ليس فيه ما يفيدُ تفسيرَ الإله بالقادر على الاختراع، ونفي أن تكون بمعنى المعبود؛ إذ يصح أن يقرر استحقاقه سبحانه وتعالى للعبادة وحده بذكر صفاته وأفعاله الدالَّة على تفرده بالخلق والملك والتدبير، وهذا في القرآن كثير كما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} [فاطر: ٣].

---

(١)شرح الأسماء الحسنى،الرازي، ص(١٢٤).

(٢)بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية، ص(٥٢٤/١).